

## شرح قصيدة أعلى الجمال تغار منا

تعدُّ هذه القصيدة واحدة من أشهر قصائد الشاعر السوداني إدريس جماع، فقد كتب الشاعر هذه القصيدة عندما كان ذاهبًا في رحلة علاج إلى لندن، وفي المطار شاهد فتاة حسناء مع زوجها فسحرته وسلبت عقله بجمالها وراح يلاحقها بنظراته الذاهلة، ولكنَّ زوجها أحسن بالأمر ووقف أمامه ليمنعه من النظر إليها فكتب هذه القصيدة، وقد نظمها الشاعر على بحر مجزوء الكامل وقافية النون المفتوحة مع ألف الإطلاق، ويبلغ عدد أبيات القصيدة كاملة 15 بيتًا فقط، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح القَصيدة:

أَعْلَى الْجَمَالِ تَغَارَ مِنَّا  
مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا نَظَرْنَا  
هِيَ نَظْرَةٌ تَنْسَى الْوَقَارَ  
وَسَعَدَ الرُّوحَ الْمَعْنَى

يخاطب الشاعر حسب ما ورد في قصة هذه القصيدة زوج فتاة حسناء كان قد شاهدها في صالة المغادرين في المطار، وعندما أطال النظر إلى الفتاة الحسناء منعه زوجها، فخاطبه قائلاً: هل تثور وتأخذك الحمية أيها الرجل في أن تمنعنا من رؤية كل هذا الجمال الذي يمشي معك، وماذا سوف يضررك إذا نظرنا إلى هذا الجمال الرباني واستمتعنا به، حيث أنها مجرد نظرة عابرة واحدة تجعل الرجل العاقل ينسى التعقل والاتزان والحلم، وتبعث في النفس المعذبة من الهوى سعادة كبيرة وفرحة غامرة.

دُنْيَايَ أَنْتِ وَفَرَحَتِي  
وَمَنْى الْفُؤَادِ إِذَا تَمَنَّى  
أَنْتِ السَّمَاءُ بَدَتْ لَنَا  
وَاسْتَعَصَمَتْ فِي الْبُعْدِ عَنَّا

وأنت أيتها الجميلة الحسناء كل هذه الدنيا بالنسبة إلي، وأنت الفرحة والسعادة التي يمكن أن أحصل عليها في الدنيا، وأنت أيضاً غاية القلب وأقصى أمنياته إذا ما تمنى شيئاً في حياته، وأنت مثل السماء التي نراها من فوقنا وتظهر لنا بكل كبرياء ووضوح وجلاء ولكنها قد منعنا من الوصول إليها بالبعد، فكلما يبدي محاسنه ويتعد حتى لا نصل إليه.

هَلَا رَحِمْتَ مَنِيَّماً  
عَصَفْتَ بِهِ الْإِشْوَقَ وَهَنَا  
وَهَفَّتْ بِهِ الذُّكْرَى  
فَطَافَ مَعَ الدُّجَى مَعْنَى فَمَعْنَى

أرجوك أيتها الحسناء أن ترحمي هذا الرجل الذي تعب في حبك وهواك، وقد أخذته الأشواق مثل عاصفة هوجاء فأضعفته وأوشك أن يسقط من ذلك، كما أنَّ الذكريات قد طارت به بعد أن ضعف كثيراً، وراح يطوف مع الذكريات ليلاً وينتقل من أغنية إلى أخرى من نشوة الشوق والهوى التي يعيشها.

هَزَّتْهُ مِنْكَ مَحَاسِنُ  
غَنَى بِهَا لِمَا تَغْنَى  
يَاشَعْلُهُ طَافَتْ خَوَاطِرُنَا  
خَوَالِيهَا وَطَفْنَا

لقد أحدث في ذلك المتيم كل ملامح الجميلة زلزلة كبيرة ونشوة لم يستطع النجاة منها، وراح يغني ويصدق بها، وكأنك لها من جمال يخترق خواطرها ويطوف فيها وحولها، ونحن نطوف معها أيضاً.

أَنْسَيْتِ فِيكَ قَدَاسَهُ  
وَلَمَسْتِ إِشْرَاقًا وَقَنَا  
وَنَظَرْتِ فِي عَيْنَيْكَ  
أَفَاقًا وَإِسْرَارًا وَمَعْنَى

أيتها الجميلة الحسناء لقد رأيت فيك ولمست شيئاً من القداسة، وكأنك من صنف الملائكة ولست من البشر، كما أنني رأيت فيك لمسات فنية غاية في الجمال وإشراقاً مبهراً، وفي عينيك الجميلتين رأيت أفاقاً بعيدة المدى لا تنتهي وأسرار غامضة أجهل تفسيرها إضافة إلى معنى لهذه الحياة مختلف عن كل المعاني.

وَسَمِعْتَ سَحْرِيَّاً  
يَذُوبُ صَدَاهُ فِي الْأَسْمَاعِ لَحْنًا  
تَلَّتِ السَّعَادَةَ فِي  
الْهُوَى وَرَشَفْتِهَا نَدَا قَدْنَا

## قُبِدَتْ حُسْنُكَ فِي الْخُدُودِ وَصُنَّتْهُ لِمَا تَجَنَّى

وقد سمعت صوتاً جميلاً جداً وكأنه صوتاً ساحراً حتى أنّ الصدى الذي يرد عن ذلك الصوت يتحول إلى لحن عذب يذوب في الأذان، ومن رؤيتك أيتها الحسنة قد حصلت على سعادة كبيرة في الهوى رحت أشرب منها برفق ولطف وعاءً وراء وعاءً كما تشرب الخمرة، وقد رأيت الجمال الشديد في خدوك المذهلة، وحفظت ذلك الجمال من الضياع لما عرفت أنّه قد أوقعتني في شراكه وكاد أن يقضي عليّ بجنايته.

## وَحَجَبَتْهُ فَحَجَبَتْ سِحْرًا نَاطِقًا وَحَجَبَتْ كَوْنًا وَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ تُشَيِّدَ لِلْجَمَالِ الْخُرُوجَ سَجْنًا

ثم يوجه الشاعر خطابه إلى الزوج مرة أخرى فيقول له: وقد حاولت أيها الزوج المسكين أن تحجب ذلك الجمال عنا، فحجبت في الحقيقة كوناً سحراً من الجمال وسحراً يكاد أن ينطق من عظمته، ثم وضعت هذا الجمال والحسن الذي خلقه الله تعالى حراً طليقاً في سجن خشية أن يراه أحد غيرك وأبويت إلا أن تفعل ذلك.

## الصور الفنية في قصيدة أعلى الجمال تغار منا

تضمُّ قصيدة الشاعر إدريس جماع العديد من الصور البلاغية والفنية التي يعتمد عليها كثير من الشعراء في كتابة أشعارهم وقصائدهم، حيث أنّ تلك الصور تعمل على إضفاء العديد من ألوان الموسيقى اللغوية في القصيدة إضافة إلى أساليب مختلفة من أجل تزيين الأبيات الشعرية، وتساهم هذه الصور في وصول المعنى إلى القراء بطرق فنية غير مباشرة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في القصيدة:

- أسلوب الكناية: ورد أسلوب الكناية أكثر من مرة في القصيدة في قول الشاعر: وَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ تُشَيِّدَ لِلْجَمَالِ الْخُرُوجَ سَجْنًا، كناية عن الغيرة الشديدة التي تمنع الجمال من الوصول إلى الآخرين حتى لا ينظروا إليه.
- استعارة مكنية: وردت الاستعارة المكنية في قوله: بَلَّتْ السُّعَادَةُ فِي الْهَوَى وَرَشَقَتْهَا دَنَا فَدْنَا، فقد شبه السعادة بالخمرة التي يرشقه، فالسعادة هي المشبه، والخمرة مشبه به محذوفة وذكر إحدى صفاتها وهي أنها تشرب بالذن.
- تشبيه مؤكد: ورد هذا التشبيه في قوله: أَنْتِ السَّمَاءُ بَدَتْ لَنَا وَاسْتَعَصَمْتَ فِي الْبُعْدِ عَنَّا، فقد شبه الفتاة بالسماء، أنت هو المشبه، السماء المشبه به، ووجه الشبه هو الصورة التي ذكرها أنها ظهرت واستعصمت بالبعد، وحذف أداة التشبيه فكان الأسلوب تشبيهاً مؤكداً.
- أسلوب الطباق: ورد أسلوب الطباق في القصيدة في قول الشاعر: وَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ تُشَيِّدَ لِلْجَمَالِ الْخُرُوجَ سَجْنًا، حيث وردت كلمة الحر وكلمة السجن وهما كلمتان متعاكستان في المعنى.

## معاني المفردات الصعبة في قصيدة أعلى الجمال تغار منا

توجد بعض الكلمات التي يمكن أن تكون صعبة بالنسبة لبعض القراء حيث أنّ اللغة المستخدمة في الشعر غالباً ما تكون لغة عالية من معاجم اللغة العربية، ومستوحاة من اللغة الفصيحة الأولى، والتي تختلف كثيراً عن اللهجات العربية المنتشرة في الدول العربية والتي توشك أن تكون لغات أخرى في بعض الدول، فلا بدّ من البحث عن تلك الكلمات في معاجم اللغة العربية للوصول إلى معانيها الدقيقة والصحيحة بسهولة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
تغار	من الغيرة وهي ثورة وحمية خشية مشاركة الشخص من يحبه
الوقار	الحلم والرزانة
المعنى	المعذب من الحب والهوى
منى	غايته ومطلبه
استعصمت	ابتعدت وامتنعت
متيماً	استحکم به الهوى وأذهب عقله

ضعفًا	وهنًا
الشرب برقة ولطف	رشفتها
وعاء الخمر	دن
من الجنابة لأنه أوقعني في الحب	تجنى
تبني وتصنع	تشيد
طارت به	هفت